

اثر العربية في فهم القرآن الكريم

د. دريد حسن احمد
الجامعة الاسلامية

المقدمة :

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله واصحابه أجمعين ، وبعد ، فان القرآن الكريم لا يمكن فهمه حق الفهم الا بالاعتماد على اللسان العربي ، وقد شرف الله تعالى هذه اللغة الكريمة فجعلها لسان الايات المبينة ، ودليل اعجازه الذي لا ينقطع على مر الدهور والسنين .

ومعلوم ان العربية هي عماد الدين واحد الركائز المهمة للثقافة الاسلامية ، فلا يمكن لكل مفسر او مجتهد او فقيه بل لكل عالم أن يخطوا خطوة واحدة من دون الرجوع الى العربية ، وصار معلوم لدى كافة علماء الشريعة أن من اولى الاولويات ان يكون الباحث متمكنا من اللغة العربية وفقها على نحو شامل ، وقد تحدثت المصادر عن هذه الناحية ولا سيما كتب التفسير ومقدماتها ، وكتب الاصول ، وكتب علوم القرآن ، وكتب البلاغة ، وقد اردنا من خلال هذا البحث الموجز ان نسهم بدورنا في اظهار هذا الجانب الحيوي بثوب علمي رشيق بعيدا عن الايجاز المخل ، والاستطراد الممل ، والله نسأل ان يوفقنا لخدمة كتابه العزيز انه سميع مجيب .

لا بد لكل من يريد أن يفهم القرآن الكريم فهما سديدا أن تتوفر فيه بعض الشروط الاساسية ، ويقف على رأس هذه الشروط العلم بالعربية التي نزل بها القرآن . وقد اكد القرآن الكريم على ان اسلوبه عربي في كثير من الايات ، فقال انه لسان عربي ، وانه حكم عربي ، وانه قران عربي ، وقد بلغ ذلك احد عشر موضعا على وجه التحديد (1) .

(1) الواضع هي على التوالي : النحل ١٠٣ ، والشعراء ١٩٥ ، وفصلت ٣ ، ٤٤ ، ويسف ٢ ، والرعد ٣٧ ، وطه ١١٣ ، والزمر ٢٨ ، والشورى ٧ ، والزخرف ٣ ، والاحقاف ١٢ .

والعربية هي لغة البيان والوضوح على النقيض من العجمة ، قال تعالى :
(لسان الذي يليحدون إليه أعجمي) (النحل ١٠٣) ، فالاعجمي هو غير مبين ، قال ابو
الفتح الموصلي : ((تركيب (ع ج م) في كلام العربية للابهام والاختفاء ضد البيان
والايضاح ، ومنه قولهم رجل اعجم وامرأة عجماء اذا كانا لا يفصحان))^(٢) .
وجريا على سنة الله تعالى في ارسال الرسل نزل القرآن بلغة العرب وعلى
اساليبهم في كلامهم (وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه لبين لهم) (ابراهيم ٤) ولذلك
نجد القرآن يستعمل في اسلوبه الحقيقة والمجاز والكناية والايجاز والاطفاب على نمط
العرب في كلامهم غير ان القرآن يعلو على ما غيره بنظمه المعجز^(٣) .
وقد اطلق على النص القرآني بانه لسان عربي وسماه لسانا لان العرب تقول للقسيمة
والبيت لسانا^(٤) .

واطلق عليه بانه (حكم عربي) ويراد بذلك ما فيه من احكام والنقض والابرار او
انه حكمة عربية مترجمة بلسان العرب^(٥) او لانه يفصل بين الحق والباطل ويحكم^(٦) .
واطلق لفظ (العربية) على القرآن من باب التجوز وذلك لان معانيه معان انسانية لان
العربية صفة اللفظ لا للمعنى لكن امره سهل لقربه من الحقيقة لما بين اللفظ والمعنى من
الملاسة القوية حتى يوصف احدهم بوصف الاخر مع ما في المجاز من البلاغة^(٧) .
العربية هي لغة الدين وقد تحدث عن ذلك الكثير من العلماء وبما فيهم الاعاجم
، فيقول الزمخشري ٩ في مقدمة كتابه (المفصل) : (الله احمد على ان جعلني من علماء
العربية وجباني على الغضب للعرب والعصية)^(٨) ، وكان تفسيره (الكشاف) قمة ما
عرفت العربية معنى وأسلوبا ، وكانت كتبه في اللغة والنحو صفوة البيان .

(٢) روح المعاني ٣٤٥/٨ .

(٣) ينظر التفسير والمفسرون ٣٢/١ - ٣٣ .

(٤) ينظر فتح البيان في مقاصد القرآن ٣١٨/٧ .

(٥) فتح البيان ٦٧/٧ .

(٦) البحر المحيط ٣٩٧/٥ .

(٧) ينظر روح المعاني ٢١/١٤ .

(٨) المفصل ٣-٢ .

وكذلك اشاد اكابر العلماء من امثال ابن تيمية والامام الشافعي بالعربية ، انظر الى الامام ابن تيمية وهو يقول : (اللسان العربي شعار الاسلام واهله واللغات من أعظم شعائر الامم التي بها يتميزون ، ولهذا كان الكثير من الفقهاء أو اكثرهم يكرهون في الادعية التي في الصلاة والذكر ان يدعى الله او يذكر بغير العربية)^(٩).

ويقول الامام الشافعي : (واولى الناس بالفضل في اللسان من لسانه النبي ، ولا يجوز - والله اعلم- ان يكون اهل لسانه اتباعا لاهل غير لسانه في حرف واحد ، بل كل لسان تبعه لسانه ، وكل اهل دين قبله فعليهم اتباع دينه)^(١٠).

ولمعرفة اثر العربية في فهم القرآن الكريم لا بد ان تذكر اولاً ان هناك طريقة للتفسير وهناك اسلوب للتفسير ، اما الطريقة في التفسير فهي الامر الثابت الدائم الذي لا يتغير ، وقد تبين من استقراء عمل الصحابة ان الطريقة تتوقف على امرين اساسيين ، وهما معرفة واقع القرآن ومعرفة موضوعه ، اما واقع القرآن فانه كلام عربي ، وهو يعني في الفاظه وعباراته على الفاظ العرب وعباراتهم ومفهومهم في كلامهم لا يخرج عن ذلك قيد شعرة ، فكان حتماً على من اراد فهم القرآن ان ياتيه من جهة اللسان العربي ولا سبيل الى تطلب فهمه من غير هذه الجهة ^(١١) .

وطريقة ذلك النقل الموثوق من طريقة الرواية الني يرويها الثقة الضابط لما يقوله عن فصحاء العرب الخالصة عربيتهم ، وما يقوله العرب عن اللغة يسلم به اذ هي اصطلاح لهم ، والمراد بالعرب العب الاقحاح الذين كانوا يتكلمون العربية قبل فساد اللسان العربي وطريق الاخذ عنهم هو النقل المتواتر وخبر الاحاد ، اما العقل فلا ينفع في معرفة اللغة العربية لان المسألة مسألة نقل عن وضع اللغة وليست مسألة الادراك .

واما واقع القرآن من حيث المعاني الشرعية كالصلاة والصيام والاحكام الشرعية كتحريم الربا وحل البيع والانكار التي لها واقع شرعي كالملائكة والشياطين ، فان الثابت ان القرآن جاء في كثير من آياته مجملاً وعماماً ومطلقاً وجاء الرسول عليه الصلاة

(٩) اقتضاء الصراط المستقيم ٢٠٣ .

(١٠) الرسالة ٤٦ .

(١١) ينظر الشخصية ٢٦٢-٢٦١ .

والسلام وفصل وخصص وقيد ، فالقران من هذه الجهة يحتاج فهمه الى اطلاع على سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولهذا كان الاقتصار على فهم القران على اللغة العربية لا يكفي بل لا بد ان يكون مع معرفة العربية معرفة السنة وان كانت اللغة العربية وحدها هي التي يرجع اليها لفهم مدلولات المفردات والتراكيب ، وذلك لان موضع القران هو رسالة لربي البشر من الله تعالى يبلغها الرسول وفيه كل ما يتعلق بالعقائد والاحكام والبيشارة والانذار والقصص للفظة والذكرى والوصف لمشاهد القيامة والجنة والنار للزجر واثارة الشوق ، والقضايا العقلية للدراك ، والامور الحسية والامور الغيبية المبنية على اصل عقلي للايجاب والعمل^(١٢).

اما اسلوب التفسير فهو شكل من الاشكال ، والمفسر حر في اختيار الاسلوب الذي يناسب ذوقه وتوجهه من حيث العرض والترتيب والتبويب وهو امر عرضة للتبديل يختلف عن طريقة التفسير التي تتسم بالثبات^(١٣).

والشيء الرائع في اسلوب القران انه يجمع بين مزايا النصوص المختلفة كالنص الادبي ، والنص الفكري ، والنص التشريعي ، والنص السياسي ، فالقران قد اخذ بكل ضرب من هذه النصوص بنصيب ، فالنص الادبي يعنى بالالفاظ والتراكيب ويهتم بابرار الصور وهز المشاعر ، واسلوب القران يتضمن ذلك ، والنص الفكري يعنى بالمقارنة العقلية وهي لغة العقل ويحتاج فهمه الى جهد وتعمق فكل ذلك يتوفر في النص القراني ، والنص التشريعي يتطلب الكثير من الامور وهو اصعب النصوص فهو يتطلب العلم بالالفاظ والتراكيب ، ومعرفة المواقع ، ومعرفة الحكم ، والقران الكريم مليء بمثل هذا الاسلوب ، والنص السياسي القصد منه رعية شؤون الامة ، وهذا ايضا من اغراض القران السامية^(١٤).

ان معرفة اليسير من اللغة لا يكفي في سبيل فهم القران فهما صحيحا بل لا بد من معرفة جميع وجوه العربية معرفة تفصيلية ، فلا بد من الوقوف على الادوات التي

^(١٢) ينظر الشخصية فصل (حاجة الامة اليوم الى مفسرين) ١٥٩ وما بعدها

^(١٣) ينظر الشخصية ٢٦٠.

^(١٤) ينظر التفكير ١٢٥ - ١٤٤

يحتاجها المفسر ، ومعرفة الغريب ، والحقيقة والمجاز ، والمتشابه ، والمشارك اللفظي ، وعود الضمير ، والحمل على اللفظ والمعنى ، ووجوه الخطاب ، وغير ذلك .

فقد يكون اللفظ مشتركا وهو يعلم احد المعنيين والمراد المعنى الاخر ، وهذا يفسر ما وقع عند ابي بكر وعمر رضي الله عنهما في عدم معرفتهم لمعنى (الاب) من قوله تعالى (وفاكهة و ابا) (عبس ٣١) ، وربما يكون (الاب) من الالفاظ المشتركة في لغتهما فخشيا ان فسراه بمعنى من معانيه ان يكون المراد غيره ، ولهذا اختلف المفسرون في معنى (الاب) الى سبعة اقوال^(١٥)، وقد جعل بعضهم ذلك من انواعه معجزات القرآن حيث كانت الكلمة الواحدة تتصرف الى عشرين وجهاً أو أكثر أو أقل ، ولا يوجد ذلك في كلام البشر ، فمثلا لفظ (الهدى) جاء بمعنى البيان ، والدين ، والايمان ، والداعي ، والرسول ، والكتب ، والمعرفة ، والارشاد ، ومحمد صلى الله عليه وسلم ، والقران ، والتوراة ، والاسترجاع ، والحجة ، والتوحيد ، والسنة ، والاصلاح ، والتوبة^(١٦).

ومن ذلك اسلوب التاكرار ، فمعلوم ان العرب اذا اهتمت بشيء كررته للتوكيد ، والقران الكريم نزل بلسانهم فهو يعيد ويكرر اذا كان الامر يستحق الاهتمام والتوكيد ، وهذا ما يجب على المفسر ان يفطن اليه ، وكان الشيخ ابو جعفر بن الزبير الغرناطي كثيرا ما يؤكد على هذه الناحية في كتابه (ملاك التاويل) فاستهد بكثير من الايات التي حصل فيها تكرار من مثل قوله تعالى (فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر) (القيامة ٣٤-٣٥).

وكثير من الايات فيها حمل على اللفظ والمعنى ، من مثل قوله تعالى (ومن الناس من يقول امنا بالله واليوم الآخر وما هم بمؤمنين) (البقرة ٨) فقد اعاد الضمير على لفظ (من) وهو الافراد والتذكير فقال (من يقول) ثم اعاده فيما بعد على معناه وهو الجمع فقال (وما هم بمؤمنين) ، فالمقصود ب(من) في الاية الجمع لكن حمل الكلام على لفظه الاول ثم حمل على معناه فيما بعد^(١٧).

(١٥) تنظر هذه الاقوال في البحر ١/٣٧١.

(١٦) ينظر البرهان ١/١٣٣-١٣٦.

(١٧) ينظر معاني النحو ١/١٤٤ وما بعدها .

وقد يحتمل ان يعود الضمير على شيئين ، فالمفسر ينبغي أن يقف في مثل هذه المواضع من مثل قوله تعالى (فاتوا بسورة من مثله) (البقرة ٢٣) فالهاء من (مثله) يمكن ان تعود على (ما) من قوله تعالى السابق (وان كنتم في ريب مما انزل على عبدنا فأتوا بسورة من مثله) ويحتمل ان تعود على (عبدنا) واكثر الراء على ترجيح الاول لاسباب ذكرها ابو حيان في تفسيره (١٨) .

وللسيوطي فصل قيم جدا وهو معرفة معاني الادوات التي يحتاج اليها المفسر كالحروف والظروف رتبها على حروف المعجم ليسهل تناولها (١٩).

وكذلك يجب على المفسر ان يتجنب الاعراب المحمولة على اللغات الشاذة لان القرآن نزل بالافصح من لغة قريش وكذلك تجنب القول باللفظ الزائد أو التكرار (وتعني بذلك التكرار المذموم) في القرآن لا يجوز اطلاقا ذلك الا بتاويل مقبول ، وتجنب التقارير البعيدة والمجازات المعقدة (٢٠).

وعلى المفسر ان يعرف ان كلمة (قرية) من قوله تعالى (واسال القرية التي كنا فيها) (يوسف ٨٢) مجاز لان القرية لا تسأل بل المراد اهل القرية ، واما قوله تعالى (حتى اذا اتيا اهل القرية) (الكهف ٧٧) فالمراد المعنى اللغوي (٢١)، وعليه ان يعرف أن (الصلاة) من قوله تعالى (أرأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى) (العلق ٩) المراد معناه الشرعي ، واما قوله تعالى (يصلون على النبي) (الاحزاب ٥٦) فالمراد المعنى اللغوي وهو الدعاء (٢٢).

هناك امر مهم وطريف قد يكون بعض المفسرين اغفل عن ذكره وتعني به معرفة وجوه مخاطبات القرآن ولا سيما الادب العالي في خطب القرآن ، حيث علمنا سبحانه على ترك التنصيص على نسبة الشر اليه ، وان كان هو الخالق لكل شيء كما

(١٨) ينظر البحر المحيط ١/١٠٤ .

(١٩) ينظر الاتقان ١/١٤٥ .

(٢٠) ينظر البرهان ٣٨٠ - ٣٨١ .

(٢١) الشخصية ٢٦٣ .

(٢٢) المصدر نفسه .

قال تعالى (بيدك الخير) (ال عمران ٢٦) واكتفى بذلك واستغنى عن ذكر الشر، فلم يقل (وبيدك الشر)^(٢٣).

والقران الكريم مسند الفعل الى الله سبحانه في مقام التشريف والتكريم ومقام الخير العام والتفضل ، بخلاف الشر والسوء فانه لا يذكر نفسه تنزيها له عن فعل الشر واردة السوء ، ولذلك تجده تعالى عندما يذكر النعم ينسبها اليه لان النعمة خير وتفضل قال تعالى (واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر كان يؤوسا) (الاسراء ٨٣) ففي حالة النعم قال (انعمنا) فنسبها الى نفسه تعالى ، وفي حالة الشر قال (مسه الشر) ولم يقل (مسسناه) مثلا أو (أحبناه) ابعادا للشر عن نفسه تعالى ، وهذا خط عام مقرر في كل القران^(٢٤).

وهناك موضوع دقيق وهو ما يتعلق بالآيات المتشابهة ونقصد به ان ايتان من موضع مختلف متشابهة مع اختلاف يسير في لفظ واحد أو حرف أو تاخير أو تكثير أو تعريف أو غير ذلك ، ومن اشهر الذين اهتموا بهذا الجانب علفى حد علمي ، الامامان ابو جعفر بن الزبير الغرناطي في كتابه (ملاك التاويل) والخطيب الاسكافي في (درة التنزيل) ، مثال ذلك ما جاء في سورة النازعات (٣٤) من قوله تعالى (فأذا جاءت الطامة الكبرى) وقوله تعالى من سورة عبس (٣٣) (فاذا جاءت الصاخة) فذكر ابو جعفر ان اسم الطامة أُرهب وأُنبا بأهوال القيامة وذلك ان السورة النازعات مبنية على التخويف والاذنار ، واما سورة عبس فلم تبنى على ذلك الغرض وانما بنيت على قصة ابن ام مكتوم الاعمى وذلك مشهور^(٢٥).

وهناك بعض الموضوعات اللغوية ولكنها صيغت بقالب اصولي يحسن بالمفسر ان يطلع عليها ، كعرفة لحن الخطاب وفحوى الخطاب ، اما لحن الخطاب فهو ما حذف من الكلام ولا يستقل المعنى الاية كقوله تعالى (فاوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق) (الشعراء ٦٣) وتقديره (فضرب فانفلق) .

^(٢٣) ينظر الشخصية ٢٦٩ .

^(٢٤) ينظر التعبير القراني ٢٧٨ وما بعده.

^(٢٥) ينظر ملاك التاويل ٢/١١٣٥-١١٣٦ .

واما فحوى الخطاب ويسمى تنبيه الخطاب ومفهوم الموافقة وهو اثبات حكم المنطوق به للمسكوت عنه بالطريقة الاولى وهو نوعان تنبيه بالاقل على الاكثر نحو قوله تعالى (فلا تقل لهما اف) (الاسراء ٢٣) فانه نبه بالنهي عن قل (اف) على النهي على الشتم والضرب وغير ذلك ، ومثله (من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك) (ال عمران ٧٥) وتنبيه بالاكثر على الاقل نحو قوله تعالى (من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك)^(٢٦) (ال عمران ٧٥).

ومهم جدا للمفسر ان يعتمد على طريقة (الاستقراء) في تفسير الايات ، وفي ذلك فائدة عظيمة تقود بيد المفسر نحو افاق واسعة لا يصل اليها من دون الاعتماد على الاستقراء ، وهذا ما كانت تؤكد الدكتور عائشة عبدالرحمن في تفسيرها البياني وكثير من علماء السلف الصالح كانوا يعتمدون عليه وان كانوا لا يطلقون عليه هذا الاسم ، والذي يراجع كتعب ابن تيمية وابن قيم الجوزية وغيرها سيجد الكثير من الايات التي جرى عليها الاستقراء ، وكذلك الحال بالنسبة لجماعة علوم القرآن كالزركشي والسيوطي وغيرهما .

وقد تبين من الاستقراء للالفاظ القرآنية ان القرآن الكريم جاء فيه اطراد الفاظ نعمة ونعم وأنعم ونعماء في الحديث عن نعم الدنيا ، واطراء مجيء (نعيم) خاصا بالآخرة في كل الالفاظ التي ورد فيها لفظ نعيم بالقران الكريم ، ولذلك رجحت الدكتورة بنت الشاطي ان يكون قوله تعالى في سورة التكاثر (لتسئلن يومئذ عن النعيم) (٨) ان الحديث هنا عن نعيم الآخرة احتكاما لما ورد في كل آيات القرآن الكريم ورد فيها لفظ (النعيم) وردا على كل المفسرين الذين ذهبوا الى ان النعيم هنا نعيم الدنيا ، وهذا القول الذي اورده الدكتورة بنت الشاطي له وزنه وقوته ولا يرد بسهولة لانه جاء بعد استقراء دقيق ودليل مادي ملموس لان القرآن ذهب الى هذا المعنى في كل آياته وصاحب هذا الكلام ادري بكلامه كما يقولون^(٢٧).

^(٢٦) ينظر تعريب الوصول الى علم الاصول ٧٨.

^(٢٧) ينظر التفسير البياتي ٢٠٣-٢٠٤/١

ومن الاستقراء والاحصاء تبين ان القرآن يستعمل (المجيء) لما فيه صعوبة ومشقة أو لما هو أصعب وأشق مما استعمل له (أتى) ففي المجيء يقول (فأذا جاء امرنا وفار التتور) (المؤمنون ٢٧) وذلك لان هذا المجيء فيه مشقة وشدة ، ويقول تعالى : (وجاءت سكرات الموت بالحق) (ق١٩) وهكذا كثير من الايات ، ولعل من اسباب ذلك ان الفعل (جاء) أثقل من (أتى) في اللفظ بدليل انه لم يرد في القرآن فعل مضارع لـ (جاء) ولا امر ولا اسم فاعل ولا اسم مفعول ولم يرد الا الماضي وحده ، بخلاف أتى التي وردت كل تصريفاتها ، فقد ورد منه الماضي والمضارع والامر واسم الفاعل واسم المفعول ، تناسب بين ثقل اللفظ وثقل الموقف في (جاء) وخفة اللفظ وخفة الموقف في (أتى)^(٢٨).

وعلى المفسر ان يجتهد في الاطلاع على الكتب الحديثة التي تخدمه في التفسير فقد يجد فيها ما لا يجده في الكتب القديمة ، فهناك كثير من الالفاظ يمر عليها المفسرون من القدماء من دون تنبيه على اسرار هذه الالفاظ أو ايحائها أو جرمها البياتي ، صحيح ان مفردات الالفاظ لم تكن هي التي تعوز العرب في اول نزول القرآن وانما يعوزهم الافكار الخصبية التي تربطها وحدة شاملة يمكن ان تؤلف شريعة ، وبلاغة القرآن التي ادهشتهم لم تقم على اللفظ و السيك والموسيقى فقط ، فهذا جانب يسير منها ، والجانب الاكبر هو تلك الغاية الاصلاحية التي يغذيها تفكر نلضج عميق شامل بعيد النظر^(٢٩) ، ولكن مع ذلك نجد في الكتب الحديثة فكات بارعة كالذي وجدناه عند الدكتورة بنت الشاطي والدكتور فاضل السامرائي والدكتور احمد بدوي والشيخ السبوطي وغيرهم من الباحثين الفاهين في عصرنا الحاضر .

نعم هناك في كتب التفسير القديمة وكتب المتشابهة وكتب غريب القرآن وكتب الفروق اللغوية اشارت الى اسباب اختيار هذه اللفظة دون تلك في هذا الموضوع ، غير انه لم تكن هذه الموضوعات مجموعة ومبوبة ومرتبطة ومدروسة بعمق وشمول ، وهذا ما تكلفت به بعض الدراسات الحديثة ، لذلك اصبحنا نعرف لماذا استعمل القرآن الكريم لفظ

^(٢٨) ينظر لمسات بيانية في نصوص التنزيل ٧٣ وما بعدها

^(٢٩) ينظر فكر اعجاز القرآن ٣٢.

(الطفل) بهذه الصيغة في موضع ، واستعمل في موضع اخر (الاطفال) ولماذا استعمل (النخل) في موضع وفي موضع اخر (النخيل) واستعمل (بني) في موضع و(ابناء) في موضع اخر ، واستعمل (الطور) في موضع ، واستعمل (الجبل) في موضع اخر ، وقال (فتقنا الجبل) ولم يقل (رفعنا) ، وقال في موضع (فانفجرت) وفي موضع اخر (فانجست) وهكذا عشرات الالفاظ (٣٠).

بل الامر ابعد من ذلك لماذا استعمل القران (العزیز) في موضع و(الملك) في موضع ثاني ، و(فرعون) في موضع ثالث يقول الدكتور فاضل السامرائي في هذا الصدد "ان التعبير الواحد قد ترى فيه اعجازا لغويا جماليا وترى فيه في الوقت نفسه اعجازا علميا أو اعجازا تاريخيا أو اعجازا نفسيا أو اعجازا تربويا أو اعجازا تشريعيا أو غير ذلك" (٣١).

وكل باحث يعالج الموضوع من جانب اختصاصه كالطبيب والمؤرخ والمجتهد وعالم النفس واللغوي وهكذا.

على هذا فنحن بحاجة ماسة الى تفسير حديث يأخذ بخصائص القران الغنية ، ولا نكتفي بالقديم لان القارئ يحتاج الى ما هو جديد وتميل نفسه اليه ، كما ان التفاسير القديمة كانت على العموم تدرس النص بشكل جزئي وكذلك الحال في مباحث البلاغة والاعجاز فانها وقفت عند حدود عقلية النقد العربي القديم ، تلك العقلية الجزئية التي تتناول كل نص على حدة فتحلله وتبرز الجمال الغني منه الى الحد الذي تستطيع ، دون ان تتجاوز هذا الادراك الخصائص العامة في العمل الفني كله (٣٢).

الا ان هناك بعض التنبهات ينبغي للمفسر ان يقف عندها وهي ضرورية نذكرها على سبيل الاجاز :

اولا : ان القران الكريم ليس كله على نمط واحد وانما فيه الايات المحكمة الواضحة المعنى وهي الايات التي تتعلق باصول الدين من العقائد وخاصة الايات الملكية

(٣٠) يراجع في هذا اللفظ وغيرها كتاب (بلاغة الكلمة في التعبير القراني) للدكتور فاضل السامرائي.

(٣١) لمسات بينة ٧.

(٣٢) ينظر التصوير الفني ٣٠ .

والايات التي تتعلق باصول الاحكام وهي الايات المدنية وخاصة ما يتعلق منها بالمعاملات والعقوبات والبنات ، كما غ ان في القران متشابهة تنتشابه معانيها على الكثير من الناس ، وخاصة الايات التي تحتمل عدة معان ، أو يتحتم صرفها عن المعنى الظاهر لها الى معنى اخر لتناقضه مع العقيدة التنزيهية (٣٣).

ثانيا : ان نزول القران بلغة العرب لا يقتضي ان العرب كلهم يفهمونه في مفرداته وتراكيبه اذ ليس كل كتاب مؤلف بلغه يستطيع اهل اللغة ان يفهموه لان فهم الكتاب لا يتطلب اللغة وحدها ، وانما يتطلب درجة عقلية من الفهم والادراك تتفق و درجة الكتاب في رقيه ، ولذلك نجد الصحابة لم يكونوا يفهمون القران على درجة واحدة جملة وتفصيلا ، وانما كانوا يختلفون بحسب مستواهم العقلي (٣٤)، وفق ذلك يوجد في القران ايت كثيرة لا يكفي في تفهمها معرفة الفاظ اللغة واسليها ، وانما يحتاج معلومات عن بعض الفاظها ، لان هذه الالفاظ تشير الى مدلولات معين مثل قوله تعالى (والذاريات ذروا) و(العاديات صباحا) و(الفجر وليال عشر) الى غير ذلك من الايات التي تشير الى المعاني معهودة (٣٥).

ثالثا : على المفسر ان يعلم ان الاستفهام الحقيقي قليل وقعه في القران الكريم و يبلغ عدده على وجه التحديد تسعة عشر موضعا من مجموع الاستفهام القراني كله الذي يبلغ (١٢٦٠) استفهاما ، وان الاستفهام الحقيقي لا يصدر عن المولى سبحانه ، ومعظم الاستفهام القراني جاء مجازيا ، فهو يخرج الى اغراض كثيرة كالانكار والاختبار والتعجب والتهمم والتقرير والتعظيم والتحقير وغير ذلك.

وكذلك يجب ان يعلم المفسر ان التعجب لا يقع من المولى سبحانه بالمعنى الذي يصح ان يسند لنا ، وما دام سبحانه يخاطب عباده بلغتهم فلا بد ان يكلمهم بما الغوا وليفهموا عنه يصور لهم المعاني بما اصطالحوا عليه من الفاظ من غير ان يكون لاتخاذها

(٣٣) ينظر الشخصية ٢٤٧.

(٣٤) المصدر نفسه ٢٤٦-٢٤٧.

(٣٥) المصدر نفسه ٢٤٧.

تلك اللغات البشرية وسيلة لفهام دلالة على انه يشبه خلقه أو يجري عليه ما يجري عليهم من انفعال أو شعور تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا^(٣٦).

رابعا: ان الله تعالى لا يخاطبنا بلفظ مهمل ليس له معنى ، لانه هذيان ، والهذيان نقص وهو عليه تعالى محال ، ولذلك فان أوائل السور لها معاني ولكن اختلف المفسرون فيها على أقوال كثيرة ، وكذلك الحال بالنسبة لقوله تعالى (طلعها كانها رؤوس الشياطين) (الصافات ٦٥) فانه مثل في الاستقباح متداول بين العرب لأنهم يتخيلونه قبيحا فيكون خطابا بما له معنى عند العرب المسلمين وليس من مهمل ، فهو يتحدث عن الشجرة التي تخرج في اصل الجحيم فوصفها بذلك الوصف في تناهي القبح والهول وهو تشبيه بالمخيل كتشبيه الفائق في الحسن بالملك^(٣٧).

خامسا : اذا كان للفظ معنى لغوي فانه يجب الرجوع الى اللغة نفسها في تفسير ذلك اللفظ ولا يجوز التفسير بحسب الاهواء أو بحسب ما يشتهي الشخص ، لان اللغة هي المصدر الموثوق الوحيد الذي يرجع اليه في تحديد دلالة اللفظ ، لو اخذنا لفظ (الولي) فانه لا يجوز لنا أن نخترع لهذا اللفظ معنى وتقول بان معناه الى كم مثلا ، وانما يجب الرجوع الى قاموس لتعرف انه معنى الولي هو المحب والصديق والنصير^(٣٨) ولا ياتي بمعنى الحاكم الا اذا كان مضافا أي (ولي الامر).

الخاتمة :

تبين من البحث النقاط الأساسية التي يجب أن ينتبه أئليها كل من يريد أن يفهم القرآن فهما سديدا ولاسيما القضايا اللغوية التي تخص لغتنا العربية العزيزة لغة القرآن وهو موضوع بحثنا وقد أوضحنا أن كل من يريد أن يفهم القرآن عليه أن يتوقف عند آخرين غاية الأهمية الأول اللغة العربية والثاني السنة المشرفة أما الأمر الثاني فليس هو غرضنا من هذا البحث ويحتاج آلي بحث المستقبل بما الأمر الأول فهو غرضنا من

^(٣٦) ينظر اسليب الاستفهام في القرآن ١٩١ وما بعدها .

^(٣٧) ينظر تفسير ابي مسعود ١٩٤/٧

^(٣٨) القاموس المحيط ٤٠١/٤ (ولي)

هذا البحث وتكفلنا ببياته في الصفحات السابقة بأسلوب علمي مع الأدلة القوية التي تعزز البحث وقلنا لابد لكل من يريد أن يفهم القرآن أن يطلع تفصيلا على أمور اللغة العربية ولا يكفي البسير منها فيجب الإحاطة بالعربية لغة ونحوا وصرفا ويجب التقيد بطريقة الصحابة في التفسير من حيث الرجوع إلى العرب الاقحاح وذكرنا تنبيهات مهمة لكل من يريد ان يتصدى للتفسير ونحن نتقيد بطريقة الصحابة ولكننا يمكن ان نجتهد ونبدع في الفهم بحسب التطور الذي حصل في الحياة من التطور الاشكال المادية والمدنية ويمكن ان نبدع في الاخيلة والصور بما لا يتعارض مع اصول العقيدة الاسلامية الحقة والحمد لله رب العالمين .

المصادر والمراجع :

١. الاتقان في علوم القرآن - جلال الدين السيوطي (٩١١هـ) المكتبة الثقافية - بيروت.
٢. اساليب الاستفهام في القرآن الكريم - عبد العليم اليد نورة المجلس الاعلى لرعاية الفنون الاداب والعلوم الاجتماعية .
٣. اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة اصحاب الجحيم - تيمية (٧٢٨هـ) تحقيق محمد حامد الفقي - ط٢ القاهرة ١٩٥٠.
٤. البحر المحيط - لابي حيان الاندلسي (٧٤٥هـ) - دار الفكر - ط٢ ١٩٧٨ م
٥. البرهان في علوم القرآن - بدر الدين الزركشي (٧٩٤ هـ) علق عليه مصطفى عبد القادر عطا - بيروت ٢٠٠١ .
٦. بلاغة الكلمة في التعبير القراني - ط١ بغداد ٢٠٠٠ .
٧. التصوير الفني - سيد قطب - دار الشروق .
٨. التعبير القراني - د. فاضل السامرائي - جامعة بغداد - بيت الحكمة - ١٩٨٦ - ١٩٨٧ .
٩. تفسير ابي السعود - لا السعود العمادي (٩٥١هـ) - دار احياء التراث العربي -

- بيروت .
١٠. التفسير البياني في القرآن الكريم - بنت الشاطئ - ط٢ - دار المعارف - مصر
١١. التفسير المفسرون - د. محمد حسين الذهبي - دار الكتب الحديثة ط٢ - ١٩٧٦ .
١٢. التفكير - محمد تقي الدين - ط١ - ١٩٧٣ م .
١٣. تعريب الوصول الى علم الاصول - لابن جزى الكلبي (٧٤١هـ) دراسة وتحقيق د. عبد الله الجبوري - جامعة بغداد ١٩٩٠ .
١٤. الرسالة - للامام الشافعي (٢٠٤ هـ) تحقيق احمد محمد شاكر - القاهرة - ١٩٤٠ .
١٥. روح المعاني - لابي الثناء الالوسي () دار الفكر - قراه وصححه محمد حسين العرب - بيروت ١٩٩٤ .
١٦. الشخصية الاسلامية - محمد تقي الدين - ط٢ - ١٩٥٣ .
١٧. فتح البيان في مقاصد القرآن لابي الطيب القنوجي (١٣٠٧ هـ) تقديم ومراجعة عبد الله بن ابراهيم الانصاري - ادارة احياء التراث العربي بدولة قطر .
١٨. فكرة اعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر - نعيم الحمصي مؤسسة الرسالة - ط٢ - ١٩٨٠ .
١٩. القاموس المحيط - للفيروز أياي (٨١٧ هـ) دار الفكر - بيروت ١٩٨٣ .
٢٠. لمسات بيانية في نصوص من التنزيل - د. فاضل السامرائي - دار النشر الثقافية العامة - بغداد - ط١ - ١٩٩٩ .
٢١. معاني النحو - د. فاضل السامرائي - جامعة بغداد - بيت الحكمة - ١٩٨٦ - ١٩٨٧ ط١
٢٢. المفصل في علم العربية - محمود الزمخشري (٥٣٨ هـ) ط٢ - بيروت .
٢٣. ملك التاويل - لابي جعفر بن الزبير الغرناطي (٧٠٨ هـ) دار الغرب الاسلامي - ١٩٨٣ .